أحد العشرة المبشرين بالجنة

عبد الرحمن بن عوف..الغني الشاكر

الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف شخصية عظيمة من الشخصيات الإسلامية المعروفة في التاريخ الإسلامي، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين الأولين في الإسلام، اشتهر بأنه كان غنيا وماهرا في التجارة لكنه كان كريما ومتواضعا، حتى لُقب بالغني الشاكر ، وكان شجاعا عفيفا و زاهدا لدرجة أنه رفض الخلافة مرتين.

هاجر عبد الرحمن بن عوف الهجرتين، وقد بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فهو بذلك أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد شهد غزوة بدر و شارك في كل المعارك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، و آخى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الخزرجي، و بعثه صلى الله عليه وسلم إلى دومة جندل ففتح الله عليه و تزوج بنت ملكهم وهي تماضر بنت الأصبغ الكلبي وجاء بها إلى المدينة وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن. وبعد موت عمر بن الخطاب كان عبد الرحمن أحد الرجال الذين عملوا مجلس للشورى ليختاروا من يتولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب .

من هو

عبد الرحمن بن عوف؟ هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. كان اسمه الحقيقي عبد عمرو، وقيل عبد الحارث وعبد الكعبة، فغيره النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى عبد الرحمن.

أمه هي الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وكان له اخ هو الأسود بن عوف. زوجاته هن: أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة، و أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، و تماضر بنت الأصبغ، و مجد بنت يزيد، و أم حريث، و أم حكيم بنت قارظ، و زينب بنت الصباح، و بادنة بنت غيلان، وسهلة بنت عاصم، و بنت أبي الخشخاش، وغزال بنت كسرى و بحرية بنت هانئ و أسماء بنت سلامة.

أما أبنائه فهم سالم الأكبر، سالم الأصغر، أم القاسم، محمد، إبراهيم ، إسماعيل ، أمة الرحمن الكبرى، عبد الله، أمة الرحمن الصغرى، حميد،حميدة، زيد، معن ،عمر ،عثمان، أم يحيى، جويرية، عروة الأكبر ، عروة الأصغر، يحيى، بلال، عبد الرحمن، سهيل، مصعب،أمية و مريم و أبو بكر .

ولد عبد الرحمن بن عوف بعد عام الفيل بعشر سنوات، سنة 43 قبل الهجرة وسنة 581 ميلاديا، وهو بذلك أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنوات .

كيف أسلم؟

كان عبد الرحمن بن عو ف رضي الله عنه من السابقين الأولين في الاسلام وقد أسلم على يد أبو بكر الصديق حيث كان أبو بكر محبوب في قومه وكان تاجرا ويعرفه رجال قومه فكان يدعو ابو بكر للاسلام من يثق بهم فأسلم على يده : الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وذهبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعلنوا اسلامهم.

وكان عبد الرحمن يبلغ من العمر حين ذلك ثلاثون عاما، وكان اسلامه قبل أن يدخل النبى دار الأرقم بن أبي الأرقم، ثم أسلم معه أخوه الأسود بن عوف.

أخلاقه وصفاته

1 – عفته : فعندما آخى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع عرض عليه سعد بن الربيع ان يقاسمه ماله وزوجاته فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في مالك وزوجك ولكن دلني على السوق وعمل بالتجارة وربح مالا كثيرا .

2 – مهارته في التجارة : عندما عمل بالتجارة كان تاجرا ماهرا وربح كثيرا وفتح الله عليه وأصبح من أغنى الأغنياء .

3 – شجاعته: كان عبد الرحمن بن عوف يتميز بالشجاعة والإقدام في المعارك ولا يفر ولا يهاب الأعداء وكان مقاتلا بارعا .

–4 جوده : قال قتادة أن عبد الرحمن بن عوف تصدق بنص ماله أربعة آلاف دينار .

–5 تواضعه وزهده : رغم ثرائه إلا أنه كان متواضعا وزاهدا فكان يمشي بين مماليكه فلا يعرف أنه بينهم من شدة تقشفه وتواضعه.

ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنه؟

1 – عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله : "أبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحةُ في الجنةَ، والزبير في الجنةَ، وعبدُ الرحمن بنَ عوفٍ في الجنة، وسَعدُ بن أبي وقّاصَ في الجنة، وأبو عبيدةَ بن الجراحَ في الجنة ".

2 – عنَ أم سلمة رضي الله عنهَا قالت : سمعتُ رسولَ الله يقول لأزواجه : "إن الذي يحنو عليكم بعدي هو الصادقُ البارُّ، اللهمّ اسقِ عبدَ الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة ".

3 – عن أبي سعيد الخدري: "كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيءٌ، فسبّه خَالدٌ، فقالَ رسولُ اللَه صلّى اللهُ عليه وسلّمَ: "لا تسُبُّوا أحدًا من أصحابي، فَإنّ أحدَكم لو أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهبًا، ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نَصيفَه".

4 – عن عائشة بنت أبي بكر: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يحنو عليكن من بعدي إلا الصابرون، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة".

5 – عن عبد الرحمن بن عوف قال:"قطع لي رسول الله صَلّى الله عليه وسلم، أرضًا بالشّأم يقال لها السّليل فتوفّي النّبيّ صَلّى الله عليه وسلم، ولم يكتب لِي بها كتابًا وإنّما قال لي: "إذا فَتَحَ الله علينا الشّأم فهيَ لَكَ".

تركته من الذهب قُطّعت بالفؤوس بدأت بأقط وسمن

كان عبد الرحمن ــ رضي الله عنه ــ عصاميا، فقد بدأ بجمع ثروته من الصفر، بل إنه عرض عليه سعد بن الربيع الخزرجي -رضي الله عنه ــ أن يشاطره في نصف ماله مجانا– وذلك حين آخى النبي ــ صلى الله عليه وسلم -بينه وبين سعد – فرفض عبد الرحمن هذا العرض المجاني، وقال: "بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق، فربح شيئا من أقط وسمن.." فابتدأ ثروته بأقط وسمن ثم حاز الملايين، فكان الاستثمار في السوق بالبيع والشراء هو الأسلوب الاستثماري لعبد الرحمن -رضي الله عنه -حتى أصبحت ثرواته على مرأى ومسمع من أهل المدينة.

و روى أحمد في مسنده من حديث أنس ــ رضي الله عنه -أن عبد الرحمن أثرى، وكثر ماله، حتى قدمت له مرة سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق) ". وقال "ترك ألف بعير، ومائة فرس، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع.. وكان نساؤه أربعا، فاقتسمن ثمنهن، فكان ثلاثمائة وعشرين ألفا، لكل واحدة منهن ثمانين ألفا. وقد بلغت ثقته باحترافه في مجال التجارة، أنه قال: لقد رأيتني ولو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب ذهبا أو فضة..! قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكان عامة ماله من التجارة.

كان الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف نموذجا فريدا في الشكر مع الغني، لذا لقب بـ"الغني الشاكر". و يقال أنه عندما توفي ترك ذهبا قُطع بالفؤوس حتى تورمت أيدي الرجال منه.

وروى عنه حفيده أنه أتي بطعام وكان صائما فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني وكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه. وقال: وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجّلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

وحكى عنه بعض جلساؤه فقال : "كان عبد الرحمن لنا جليسا وكان نعم الجليس وأنه انقلب بنا يوما حتى دخلنا بيته ودخل فاغتسل ثم خرج فجلس معنا وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف. فقلنا له يا أبا محمد ما يبكيك فقال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أرانا أخرنا لها لما هو خير لنا، ومن تواضعه أنه كان لا يعرف من بين عبيده".

وبينما عائشة رضي الله عنها في بيتها إذ سمعت صوتا رجّت منه المدينة فقالت ما هذا؟ قالوا: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام وكانت سبعمائة راحلة. فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه فحدثته، قال فإني أشهدك أنها بأحمالها في سبيل الله عز وجل.

وباع عبد الرحمن –رضي الله عنه– أرضا له من عثمان بأربعين ألف دينار فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين. وبعث إلى عائشة بمال من ذلك المال فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لن يحنو عليكن بعدي إلا الصالحون" سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

وتصدق عبد الرحمن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألفا ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى وكان عامة ماله من التجارة.

كم بلغت ثروته؟

سعى كثيرون إلى تقدير ثروة عبد الرحمن بن عوف ــ رضي الله عنه ــ فقالوا إنها في حدود "ثلاثة ملايين ومائتي ألف دينار"، وهو ما يساوي اثنين وثلاثين مليون درهم فضة، لأن الدينار الذهبي يساوي عشرة دراهم. يقول الحافظ ابن حجر في الفتح "جميع تركة عبد الرحمن بن عوف ثلاثة آلاف ألف ومائتي ألف (أي ثلاثة ملايين ومائتا ألف)، وهذا بالنسبة لتركه الزبير بن العوام قليل جدا، فيحتمل أن تكون هذه دنانير، وتلك دراهم، لأن كثرة مال عبد الرحمن مشهورة جدا".

وقد فتح الله على عبد الرحمن بن عوف في التجارة، كما فتح الله عليه في الصدقة. ومن أوجه الصدقة التي بذلها:

وبينما عائشة رضي الله عنها في بيتها إذ سمعت صوتا رجّت منه المدينة فقالت ما هذا؟ قالوا: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام وكانت سبعمائة راحلة. فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه فحدثته، قال فإني أشهدك أنها بأحمالها في سبيل الله عز وجل.

1 – باع أرضا له من عثمان بأربعين ألف دينار فتصدق بها وقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين. وبعث إلى عائشة بمال من ذلك المال فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لن يحنو عليكن بعدي إلا الصالحون" سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

2 – تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى.

3 – أوصى لمن شهد بدرا بأن يعطى كل واحد منهم أربعمائة دينار، فوجدوا مائة رجل بدري، أي أوصى لهم بأربعين ألف دينار.

4 – أوصى بألف فرس في سبيل الله.

5 – أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة فقومت بمائة ألف.

لقد اندهش الكثير من الناس ن سر نجاح تجارة عبد الرحمن بن عوف، وفي قصة نجاح هذا الصحابي الجليل عبرة يجب على كل شاب مسلم أن يقتدى بها وأن يتخذ الصحابي عبد الرحمن بن عوف مثلا أعلى له في النجاح المالي والكسب الحلال والمشروع بدون غش أو اختلاس.

عبد الرحمن بن عوف في عهد الخلفاء الراشدين

كان لعبد الرحمن بن عوف منزلة كبيرة في عهد الخلفاء الراشدين خاصة في عهد عمر، فكان عمر بن الخطاب يستشيره، فلمّا حدث طاعون عمواس سنة 18 هـ، ثم انتشر في بلاد الشام. كان عمر بن الخطاب يريد أن يذهب للشام وقتها، فلما كان بسرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام، فنصحه عبد الرحمن بن عوف بالحديث النبوي: "إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارًا منه"، فعاد عمر وصحبه إلى المدينة المنورة.

ولمّا فُتحَت بلاد فارس سنة 22 هـ، اختلف الصحابة في أخذ الجزية من المجوس، فجاء عبد الرحمن بن عوف وأخبر عمر أن النبي أخذ الجزية من مجوس هجر، فأخذ عمر بشهادة عبد الرحمن، فبعث عمر بن الخطاب كاتبا لجزء بن معاوية: "أن انظر مجوس من قبلك فخذ منهم الجزية، فإن عبد الرحمن بن عوف أخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر."

وفي سنة 23 هـ، استُخْلِفه عمرُ بن الخطّاب على الحجّ في تلك السنة، فحَجّ عبد الرحمن بالناس، وحَجّ مع عمر أيضا، وهي آخرَ حجّة حَجّها عمرُ سنة ثلاث وعشرين، وأذنَ عمر تلك السنة لأزواج النّبيّ في الحجّ، فحُملنَ في الهَوادج، وبَعَثَ معهنّ عثمان بن عفّان وعبد الرّحمنَ بن عوف.

ولمّا طُعِن عمر بن الخطاب ودنت وفاته، أوصى بأن يكون الأمر شورى بعده في ستة ممن توفي النبي محمد وهو عنهم راض وهم: عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، طلحة بن عبيدً الله، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

رفض الخلافة مرتين

في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان، كان عبد الرحمن بن عوف يحظى بمنزلة مشابهة لمنزلته في عهد عمر، ففي عام 24 هـ، استُخْلفه عثمان على الحجّ في تلك السنة، فحجّ عبد الرحمن بالنّاس، وكان عبد الرحمن زاهدًا في الإمارة، فقد أرسل سعد بن أبي وقاص إلى عبد الرحمن رجلا وهو قائم يخطب: "أن ارفع رأسك إلى أمر الناس (أي: ادع إلى نفسك)"، فقال عبد الرحمن: "ثكلتك أمك، إنه لن يلي هذا الأمر أحد بعد عمر إلا لامه الناس". وكان عثمان يريد أن يُوصي له بالخلافة من بعده، فلمّا اشتكى عثمان رعافًا، دعا كاتبه حمران فقال: "اكتب لعبد الرحمن العهد من بعدي"، فكتب له، وانطلق حمران إلى عبد الرحمن فقال: "البشرى!"، قال: "وما ذاك؟" قال: "إن عثمان قد كتب لك العهد من بعده"، فقام عبد الرحمن يدعو بين القبر والمنبر فقال: «"اللهم إن كان من تولية عثمان إياي هذا الأمر، فأمتني قبله"، فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى مات.

ورغم أن قيادة الأمة الإسلامية مهمة جليلة خاصة أن من تولاها في صدر الإسلام كانوا أكابر الصحابة، الذين سطروا أروع سطور التاريخ الإسلامي وكتبوا أنصع صفحاته، لكن ابن عوف آثر أن يكون ضمن المعاونين للخلفاء وليس هو واحدا منهم، رغم الفرصة التي أتته سانحة حينما اختاره الفاروق عمر بن الخطاب ليكون واحدا ضمن المرشحين السّتة لتولِي أمر الخلافة من بعده، لكنه بادر في خلع نفسه من الترشّح، واختار أن يسهم في الاختيار دون أن يكون هو مرشّحا.

وبذل ابن عوف جهدا في استطلاع رغبة المرشّحين الآخرين وأهل المدينة بعدهم، فوجد كفة عثمان بن عفان رجحت، فبايعه على الخلافة، وكان سندا له، وفي آخر خلافته وجد عثمان نفسه متعبا فأرسل إلى ابن عوف ليعرض عليه أمر الخلافة من بعده، وذهب بالفعل له ليبشّره بالأمر، لكن من ترك طلب الخلافة مرةً لم يكن ليطلبها مرةً أخرى، فوقف عبدالرحمن بن عوف في روضة النبي محمد ودعا ألا مرة أخرى.

وفاته

توفي عبد الرحمن بن عوف سنة 32 هـ في خلافة عثمان بن عفان، وقيل سنة 31 هـ والأول أشهر، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وَقيل أنه عاش ثمانيا وسبعين، وَقيل خَمْس وَسَبْعِينَ سَنَةً، وكان قد أوصى لمن بقي مِن أهل غزوة بدرٍ لكل رجَل أربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأخذوها، وأخذها عثمان فيمن أخذ: وأوصى بألف فرس في سبيل الله. ودُفن في البَقيع، وصلّى عليه عثمان بن عفان، ويقال الزبير بن العوام، وكان علي بن أبي طالب يقول في جنازته: "أَذْهَبُ عَنْكَ ابْنَ عَوْف، فَقَدْ أَدْرَكْتَ صَفْوَهَا وَسَبَقْتَ رَنْقَهَا."، وكان سعد بن أبيٍّ وقاص فيمن حمل جنازته فكان ممسكا بقائمتي السرير وهو تحته يقول: "واجبلاه." ورُوِى أنه أغمي عليه قبل وفاته.